السّياقات الأسلوبية البنيوية في قصيدة الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر لمُحمد العيد آل خليفة.

les contextes stylistiques structurales dans le poème « le dixième souvenir de premier novembre » de MOHAMMED L'AID AL KHALIFA

الطّالب: عُمر عزايز.

الأستاذة المُشرفة : د. طاطة بن قرماز.

جامعة الشلف / الجزائر.

المُلخّص:

نسعى في موضوع بحثنا المُعنون بِـ " السّياقات الأسلوبية البنيوية في قصيدة الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر لمُحمد العيد آل خليفة " إلى مُكاشفة القيم التعبيرية الأسلوبية الجمالية في النّتاجات الشّعرية للشّاعر مُحمد العيد آل خليفة، وخُصوصاً في قصيدته" الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر"، وهذا نظراً لما تنفرد به القصيدة من أساليب فنّية مائزة ، مِن مِثل: التّكرار، والاستعارات، والتّضاد، وكذا جودة السّبك والبراعة الفنّية في التّصوير، وهو ما أهّل القصيدة للبحث والمُدارسة الأسلوبية البنيوية ، وقد كان المنهج الأسلوبي البنيوي الرّيفاتري المُرتكِز على مسألة السّياق الأسلوبي المُتّكأ في هذه المُقاربة الأسلوبية المُزاوِجة بين النّورية والجمالية.

الكلمات المفتاحية :السّياق الأسلوبي، الجمالية ، النّورية ، أسلوبية التّكرار، الإجراء الأسلوبي.

Résumé :

On vise dans notre thème de recherche intitulé " les contextes stylistiques structurales dans le poème **« le dixième souvenir de premier novembre** »de MOHAMMED L'AID AL KHALIFA ,à explorer les valeurs expressives stylistiques esthétiques dans les œuvres poétiques du poète **MOHAMMED L'AID AL KHALIFA** et spécialement dans le poème « **le dixième souvenir de premier novembre** »cela est du en raison qu'elle se distingue par des styles artistiques distincts tel que : la répétition, les métaphores, l' antithèse, ainsi la qualité de la Fonderie et l'ingéniosité artistique dans le figuration, ce qui qualifier le poème à la recherche et l'étude stylistique structurale et la méthode stylistique structural « reffaterrien » - basé sur la question du contexte stylistique –installé

dans ce rapprochement stylistique qui rassemble entre le révolutionnaire et l'esthétique.

Mots clés : contexte stylistique, esthétique, Révolutionnaire, répétition stylistique, procédure stylistique.

نصُّ المُداخلة:

ترتكزُ قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" مِن مُجمل إبداعات مُحمد العيد آل خليفة الشّعرية على دعائمَ فنّية تُشكّل الحدث الأسلوبي ، وتُجسّد الخُصوصية التّعبيرية للأساليب الأدبية الشّعرية في ثورتنا الخالدة ، ممّا يجعل القصيدة جديرة بالبحث والمُدارسة الأسلوبية البنيوية ، وذلك باعتماد منهجٍ تحليليٍّ مُتكاملٍ لا يفصل شكل النّص عن مُحتواه ، وهو ما يُعرف بالمنهج الأسلوبي البنيوي الرّيفاتري ، نسبةً لصاحبه ميكائيل ريفاتر Michael riffaterre؛ إذ يُعدُّ هذا المنهج منهجاً شمُولياً ينطلق من مُسلّمة مفادها أنّ (البُنى الّتي ليس لها قيمة تعبيرية... لها قيمة أسلوبية ، فسِماتُها المُميزة إنّما تكون في لا تعبيريتها على وجه الدّقة، أو في قيمتها الّتي تبلُغ درجة الصّفر)[1] ، وتبرُز مهمّة المُحلّل الأسلوبي من خلال عملية الكشف عن الوقائع الأسلوبية ، وذلك باشتغاله على بُنى النّص الأدبي دُون إهمال أيّ جُزئيةٍ فيه، وإنّ (نفيَ أي قيمة أسلوبيةٍ عن عُنصرٍ ما يُمكنها هي نفسها أن تنطويَ على قيمةٍ أسلوبية)[2] ، ولهذا فإبراز السّمات الأسلوبية يستوجبُ دراسة الوقائع اللُّغوية المُميّزة منها وغير المُميّزة ، ضِمن إطارٍ شُموليٍّ يُحلِّل بُنى النّص الأدبي تحليلاً ذُرّياً، وهذه الغاية تُسطّرها الأسلوبية الّتي هدفها(البحث في النّص عن العناصر الموجودة فيه والّتي تجعل منه نصّاً أدبياً)[3] ، وذلك بُغية الكشف عن خُصوصية هذه العناصر وتحديد نشاطها الأسلوبي.

تتسم قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر " بسمات فنّيةٍ تأثيريةٍ ، وهذا بفضل بُناها اللُّغوية المُتعاضدة، وأساليبها التّعبيرية الحاوية لروائع البيان، والمُنمّقة بزُخرف البديع:(استعارات، تصريع، جناس...)، ويُعزى التّفرُد الأسلوبي الجمالي للقصيدة من منظورنا إلى انتظامها على وزن بحر الطّويل ، فهو البحر الخضم الّذي يستوعب ما لا يستوعب غيره من المعاني ويتّسع لسرد الأحداث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال، إلى جانب كونه يُناسب المُناسبات الجادّة ويخدم الموضُوعات ذات الحِس الصّادق والبُعد الهادف ، من مِثل: موضوع قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" للشّاعر مُحمد العيد ، والمُشيد بتضحيات الشّعب الجزائري في ثورة نُوفمبر الكُبرى من أجل نيل الاستقلال، وهو من الموضُوعات الجادّة الرّامية إلى ترسيخ تاريخ الانتصار البُطوليّ في نفُوس الجزائريين.

يتّضح لنا بعد القراءات التّأمُلية لِعُنوان قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" أنّه يُوحي إلى جُملةٍ مِن الدّلالات ، عبّر عنها الشّاعر مُحمد العيد بأسلوبٍ ترميزيٍّ، منها: إثباتُ الهُوية الجزائرية وانتماءاتها العريقة الأصيلة إلى مُقوّمات: الدِّين، واللُّغة، والعُروبة ، ففي وسم الشّاعر قصيدته بعُنوان " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" حملُ القارئ على ترسيخ وتثبيت حقيقةٍ تاريخيّةٍ في نفسه ، تمثّلت في ثورة نُوفمبر المجيدة الخالدة ، وقد وظّف الشّاعر لفظة " الذّكرى" مُعرّفةً بـ " أل " التّعريف تدليلاً منه على خُصوصية شهر نُوفمبر في تاريخ الشّعب الجزائري، والذّي غيّرت الثّورة التّحريرية المُنطلقة فيه مسارَ حياته، وأنارت سبيله.

حقّق مطلع قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" مُتعةً فنّيةً ، وأريحية نفسية جعلت من القارئ ينخرط وينفعل أيّما تفاعُلٍ في سياقات القصيدة ومضامينها الفنّية ، وذلك عبر مطلعها المُتميّز بحُسن ابتدائه، المُؤسلب بجماله:

نُوفمبرُ قَد وَافَى عَلى اليُمنِ وَالبُشرَى * بِعَاشِرَةِ الذّكرَى لِثَورَتِنَا الكُبرَى**(4)

يَكتسب البيت الاستهلالي أهميةً بالغةً في العمل الشّعري الإبداعي؛ ذلك أنّ (تحسين الاستهلالات والمطالع من أحسنِ شيءٍ في هذه الصّناعة، إذ هي الطّليعة الدّالة على ما بعدها المُتنزّلة من القصيدة منزلة الوجه والغرّة ، تزيد النّفس بحُسنها ابتهاجاً ونشاطاً لتلقّي ما بعده إن كان بِنسبةٍ من ذلك...)(5) ، ومن شأن تحسين مطلع القصيدة أن يفتح شهية القراءة والتّطلُّع على القصيدة كاملةً، وكشف مضامينها وأبعادها الفنّية.

استهلّ الشّاعر مُحمد العيد قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" بأسلوبٍ مجازيٍّ استعاريٍّ تلاقحت فيه أبعاد الثّورة التّحريرية المُباركة وقيمها العُليا ببدائع اللُّغة وعوالمها المجازية الرّحبة ؛ إذ شخّص الشّاعر شهرَ نُوفمبر مُلبساً له ثوب إنسانٍ مُبشّرٍ بالخير يحمِل النّصر المُبين لشعب الجزائر الأبيّة ، ولجامع الخيريّة بين طرفي التّشبيه (نُوفمبر/ الإنسان المُبشّر بالخير) صاغ الشّاعر هذا اللّون الاستعاري التّخييلي ، الّذي صار مِن خلاله شهر نُوفمبر رمزاً للعزّة و النّصر، مُوافياً وحاملاً البِشارة لأبطال الجزائر، وقد أسهم هذا التّشكيل الاستعاري (نُوفمبر قد وافى) في تخليد حقيقةٍ تاريخيةٍ وانتصاراتٍ بُطوليةٍ حازها الشّعب الجزائري، تُوّجت بالاستقلال ونيل الحُرية.

بثّ الأسلوب الاستعاري المُتفرّد نُوفمبر قد وافى استئناساً ومُتعةً جماليةً في نفسية القارئ، تصاعدت حدّتها بفضل الاستعارة الّتي (هي أمدُّ ميداناً وأشدُّ افتناناً وأكثر جرياناً، وأعجب حُسناً وإحساناً ...وأملأُ بكُلِّ ما يملأُ صدراً ويُمتع عقلاً ، ويُؤنس نفساً، ويُوفرُ أُنساً...)(6) ،وقد أحدث الأسلوب الاستعاري (نُوفمبر قد وافى) بقيمه الأسلوبية أثراً بالغاً في نفسية القارئ.

يحوي البيت الأوّل لقصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" مُحسّناً بديعياً لفظياً تمثّل في التّصريع ، والّذي يظهر في قول الشّاعر مُحمد العيد:

نُوفَمبَرُ قَد وَافَى عَلى اليُمنِ وَالبُشرَى * بِعَاشِرَةِ الذّكرَى لِثَورَتِنَا الكُبرَى**(7)

جانس الشّاعر مُحمد العيد بين نهاية صدر البيت وعجُزه بلفظتي (البُشرى /الكُبرى)، إذ يظهر هذا التّوافق في المقطع الصّوتي" رَى" في كلمة البُشرى ، وبين المقطع الصّوتي" رَى" في كلمة الكُبرى ، مُحدثاً هذا التّجانس الصّوتي مُجانسةً دلاليةً تمثّلت حسب تقديرنا في عامل التّأثير، لأنّنا نتلقّى كُلاً مِن البُشرى والكُبرى بشيءٍ من الإندهاش والتّفاعُل، وتبدو حاجة الأسلوبية إلى البحث عن مواطن التّأثير في المُتلقّي في غاية الأهمية ؛ باعتبار أنّ (الأسلوبية تُعنى بدراسة الخصائص اللُّغوية الّتي تنقل الكلام مِن مجرّد وسيلة إبلاغ عادي إلى أداة تأثير فنّي)(8) .

الفاعلية الأسلوبية للتّكرار:

عمد الشّاعر مُحمد العيد في قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" إلى استخدام أسلوب التّكرار بشكلٍ مُكثّفٍ لافتٍ للانتباه ، إذ تكرّرت عبارة " نُوفمبر قد وافى" في مُستهلّ كُلّ بيتٍ من الأبيات الشّعرية الثّلاثة الأُولى مِن القصيدة ، ونحسب أنّ الّذي حمَل الشّاعر على تكرار عبارة " نُوفمبر قد وافى" هو تأكيده المعنى وإصراره على ترسيخ هذا اليوم المجيد (اندلاع ثورة نُوفمبر الكُبرى) في نُفوس الجزائريين؛ إذ ضمّن الشّاعر العبارة المُكرّرة " نُوفمبر قد وافى "حرف التّحقيق " قد"، تأكيداً منه على أنّ شهرَ نُوفمبر هُو مُؤشّرُ تمرُّدٍ على المُستعمر الفرنسي الغاشم ، فكان هذا الشّهر رمزاً لافتكاك الحُرّية

والظّفر بالاستقلال ، وقد تعمّد الشّاعر تكرار عبارة " نُوفمبر قد وافى " لينقُل البُشرى والمسرّة إلى نُفوس الجزائريين وهو انجذابٌ نفسيٌ ،إذا ما استشعرَه القارئ بثّ الاعتزاز والافتخار في نفسيته ، وسلبَ اهتمامه بوقعه المُوسيقيّ للعبارة المكرّرة " نُوفمبر قد وافى " المُؤثّر على قلبِ وأُذن السّامع(ويأتي التّكرار لدوافع فنّية كونه إيماءً على أنّه يُحقّق توازناً مُوسيقياً، فيُصبح النّغم أكثر قُدرةً على استثارة المُتلقّي والتّأثير في نفسه)[9] .

يجنح الشّاعر مُحمد العيد في قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" إلى استخدام أسلوب التّكرار في أكثر من موضعٍ في القصيدة ، ترسيخاً للحدث التّاريخي المُهمّ جدّاً(ثورة نُوفمبر الكُبرى)، والّذي كان سبباً مُباشراً في تغيير مسار حياة الشّعب الجزائري ؛ إذ يسترسل الشّاعر في توظيف أسلوب التّكرار، مُكرّراً عبارة " **نُوفمبر وافانا"** [10] بعد الأبيات الثّلاثة الأُولى الّتي تكرّرت فيها عبارة مُشابهة لها " نُوفمبر قد وافى"، من حيثُ أسهم هذا التّشاكُل التّعبيري لأسلوب التّكرار في تثبيت العبارة الأُولى المُكرّرة في الأبيات الثلاثة الأولى " نُوفمبر قد وافى" في ذهن المُتلقّي، لتليها عبارة " نُوفمبر وافانا " مُكرّرةً في ثلاثة أبياتٍ مُواليةٍ لها، ويُصطلح على هذا الإجراء في التّحليل الأسلوبي البنيوي الرّيفاتري بِـ: الارتجاع rétroaction، (أي أنّ ما قُرئَ هو الّذي يفعل فيما كان قد قُرئ)[11] .

أفاد تكرار الشّاعر مُحمد العيد لعبارة " نُوفمبر وافانا " دلالة الاختصاص ، باستخدامه لضّمير المُتكلّم "نَا" في الفعل" وافانا " تخصيصاً منه في نِسبة شهر اندلاع الثّورة المجيدة(نُوفمبر) إلى الشّعب الجزائري وتضحياته المريرة ، بُغيةَ طرد المُحتل الغاصب ونيل الاستقلال، ولهذا(فإنّ التّكرار في حقيقته إلحاحٌ على جهةٍ هامّةٍ في العبارة يُعنى بها الشّاعر أكثر من عنايته بسواها...، فالتّكرار يُسلِّط الضّوء على نُقطةٍ حسّاسةٍ في العبارة ويكشف عن اهتمام المُتكلّم بها)[12] .

تكرّرت لفظة " نُوفمبر" [13] مُثبتةً في بداية كُلّ بيتٍ شعريٍ من الأبيات الشّعرية التّسعة الأولى (وفق تدرُّجٍ إنشادي عمودي مُشكّلةً إيقاعاً مُوسيقياً مُؤثّراً، بفضل تنغيماته المُطربة الآسِرة)[14] ، كما حقّقت الكلمة المُتواترة في القصيدة " نُوفمبر" إلى جانب حُضورها الإيقاعي الجمالي حُضوراً دلالياً، تمثّل في الإصرار القوي للشّاعر مُحمد العيد على ترسيخ وتثبيت حقيقةٍ تاريخيةٍ، وانتصاراتٍ بُطوليةٍ للثّورة الجزائرية المجيدة ، ويأتي غرض الشّاعر في تكراره للفظة " نُوفمبر" مِن حِرصه الشّديد على إبقاء القارئ المُتلقّي في سياق القصيدة وانتصاراً منه على خُموله ، ولهذا نلفي(مهمّة المُؤلّف باعتباره مُسنّناً للرّسالة هي أكثر إجباراً من مهمّة المُتكلّم، يجب على المُتكلّم أن ينتصر على خُمول المُتلقّي وشُرُوده ، وعلى المجرى المُتشعّب أو العُدواني لتفكيره)[15]، وقد تمكّن الشّاعر مُحمد العيد من إقحام القارئ في سياق القصيدة طواعيةً منه ، ومِن الانتصارِ على خُموله بفضل مُختلف الوقائع الأسلوبية المُميّزة ، الكامنة في زوايا النّص الشّعري.

وظّف الشّاعر مُحمد العيد مجموعةً من الملفُوظات المُوائمة لمقاصد كلامه ، إذ حرص حِرصاً شديداً على حبك ألفاظها، حتّى صارت طيّعةً سلسةً ذات نُسوجٍ تركيبيةٍ مُتعاضدةٍ ، ساعياً بذلك إلى تحقيق بلاغة القول الشّعري المُرتكزة على قاعدةٍ مُحتواها (فأجود الشّعر ما رأيته مُتلاحم الأجزاء، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنّه قد أُفرغَ إفراغاً ، وسُبك سَبكاً واحداً ، فهو يجري على اللِّسان كما يجري الدِّهان)[16] ، وقد استخدم الشّاعر محمد العيد سلسلةً مِن الملفُوظات انسجمت وموضُوع القصيدة انسجاماً كُلياً، مِن مِثل:(نُوفمبر، الكُبرى، ضحايانا، الإسلام، الثّورة...)، تلاحمت هذه الملفُوظات وتضافرت مُكثّفةً دِلالات النّص، مُولّدةً إجراءً أُسلوبياً، إذ (بإمكان نظام من الكلمات أن يُؤثّر أُسلوبياً في مجموعةٍ مِن الكلمات...)[17] .

تعاضُدية التّضافُر:

تتوالد الإجراءات الأسلوبية في قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" لمُحمد العيد بشكلٍ لافتٍ لانتباه القارئ ، إذ يَصطلح ريفاتر على هذه التّقنية المُتراكمة فيها جُملةٌ من الوقائع الأسلوبية بـ" التّضافُر" convergence، الّذي عنى به (الإركام لكثير مِن الإجراءات الأسلوبية، المُستقلّة في نُقطةٍ واحدةٍ مُعطاةٍ ، بحيث يكون كُلّ واحدٍ منها مُعبّراً في ذاته بِمُفرده، وكُلّ إجراءٍ أسلوبي مع المجموع يُضيف تعبيريته إلى تعبيرية الإجراءات الأسلوبية الأُخرى، وعلى العُموم فتأثيرات هذه الإجراءات الأسلوبية تتضافر حول تقويةٍ مُثيرةٍ للانتباه بِطريقةٍ مُتميّزةٍ)[18] ، نلفي تجلّي الإجراءات الأسلوبية المُتضافرة في قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" لمُحمد العيد ، من خلال توظيفه لأساليب استعارية مُتضافرةٍ مُتراصّةٍ ومُتواليةٍ في عِدّة أبياتٍ شعريّةٍ مُتتابعةٍ من القصيدة ، من حيث يقول:[19]

نُوفَمبَرُ أَذكَى مِن فُؤَادِي شُعُورُه * وَأَلهَبَ إحسَاسِي وَأَلهَمَنِي الشّعرَا**
نُوفَمبَرُ جَلّى عَن بِلَادِي ظَلَامَهَا * نُــوفَمبَرُ فِي آفَاقِهَا أَطلَعَ الفَجرَا**
فَفَاتِحه قَد كَانَ أَعـظَمَ فَاتِحٍ * لَنَا كَـسَبَ التّحرِيرَ وَانتَزَعَ النّصرَا**

تتبدّى **الأ**ساليب الاستعارية المُتضافرة في الأبيات الشّعرية الثّلاثة المذكورة آنفاً، في العبارات الآتية ذكرها: نُوفمبر أذكى/ ألهب إحساسي/ألهمني الشّعرا / نُوفمبر جلّى/ أطلع الفجرا، وكُلُّها أساليب مجازية استعارية واردة بشكلٍ مُتعاضدٍ مُتواترٍ، شكّلت في مجموعها الحدث الأسلوبي والقيمة الفنّية.

أسلبة الاستعارة:

حقّق التّشكيل الاستعاري "انتَزَعَ النّصرَا " الوارد في البيت الثّالث عشر[20] من القصيدة مُتعةً فنّيةً وأريحيةً نفسيةً في القارئ المُتلقّي؛ إذ مثّل الشّاعر شهرَ نُوفمبر بإنسانٍ جريءٍ مِقدامٍ باسلٍ، وَاتتهُ الشّجاعة لانتزاع النّصر من العدُو الفرنسي المُتغطرِس ، ووفق هذا الإجراء الأسلوبي الاستعاري الّذي أُسنِد فيه الفعل " انتزَع " المبني للمعلُوم إلى الفاعل المحذُوف المُقدّر بـِ " الشّعب الجزائري " أو شهر نُوفمبر، حسب ما تُوحي به القصيدة أفاد السّياق الأسلوبي الاستعاري " انتزع النّصرا " دلالة المُجاهرة بفعل انتزاع النّصر، الّذي تمّ تحقيقه وتأكّد من طرف الشّعب الجزائري وتضحياته المريرة الباسلة، عبر الثّورة التّحريرية الكُبرى الّتي صار نُوفمبر رمزاً مُعبّراً عن ضخامتها في تاريخ الجزائريين ، ولهذا أَسند الشّاعر مُحمد العيد آل خليفة الفاعلَ " نُوفمبر" إلى الفعل " انتَزَعَ " من جِهة المجاز وِفق سياقٍ استعاري جمالي.

يتضمّن الأسلوب الاستعاري " انتَزَعَ النّصرَا " بُعداً جمالياً فنّياً؛ إذ جُعل فيه غير العاقل " نُوفمبر" بمنزلة العاقل " الشّعب الجزائري"، وهذا مِن المزايا العجيبة للاستعارة، الّتي (ترى بها الجمادَ حيّاً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخُرّس مُبينةً، والمعاني الخفية باديةً جليّةً...)[21] ، وقد تجلّت معاني: (البسالة، الجُرأة، التّضحية، بُلوغ الغاية ...) من خلال ما يتأبّطه اللّون الاستعاري " انتَزَع النّصرا " مِن دلالاتٍ وإيحاءاتٍ فنّية.

يُلاحظ في قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" [22] مُبالغة وإفراط مِن قِبل الشّاعر مُحمد العيد في استخدام الأفعال الماضية مِن مِثل: (وَافَى، رَكِبنا، ذكّرنا، طيّبنا، ضَمّخنا، دَرى ...) تناسُباً وموضوع القصيدة المُشيد ببُطولات الشّعب الجزائري في ثورة نُوفمبر المجيدة ؛ ولأنّ الشّاعر بصدد عرض وسرد أحداثٍ بُطوليةٍ في تاريخ الجزائر، انكبّ على استخدام الأفعال الماضية ، الّتي رسّخت إنجازات نُوفمبر الكُبرى في نُفوس الجزائريين، أمّا توظيفه لأفعال المُضارَعة وأفعال الأمر فَيَقِل؛ إذ يُلاحظ وُرود أفعال

الزّمن الحاضر من مثل: (تُحنى، تعُد)، الّتي تدلُّ على واقع الشّعب الجزائري في كنف الاستقلال ، وهناك أفعال الأمر مِن مِثل:(سلُوا، اعتَصم...)، وهي أفعال لزمن المُستقبل ، يصبُو الشّاعر مِن توظيفها إلى دعوة الأجيال القادمة من أبناء وطنه " الجزائر" إلى المُحافظة على وطنهم والذّود عنه ، كما فعل أسلافهم في ثورة نُوفمبر الكُبرى ، ويعكس هذا قولُ الشّاعر مُحمد العيد:

وَدَع عَنكَ أَسبَابَ التّنَازُع وَاعتَصِم * بِمِيثَاقِكَ الثّورِيّ واشدُد به ازرا**[23]

بنى الشّاعر مُحمد العيد بداية قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" على نسقٍ تعبيريٍّ واحدٍ مِن الأفعال الماضية في الأبيات السّتة الأولى من القصيدة ، وهذه الأفعال هي:(وافى، رَكِبنا، وافانا، طيّبنا، ضمّخنا، دَرى) ، وكُلُّها أفعال للزّمن الماضي كُسِرت بفعل مُضَارع " تُحنى" دلّ على زمن الحاضر، إذ يقول في البيت السّابع من القصيدة:

نُوفَمبَرُ عِملَاقُ الشُّهُورِ بِبَأسِهِ * وَجِبارُهَا تُحنَى الرُّؤُوسُ لَهُ جَبرَا**[24]

يظهر الفعل المُضَارع " تُحنَى" في البيت المذكور أعلاه في شكلِ بنيةٍ تعبيريةٍ مُعارضةٍ مُخالفةٍ للنّسق التعبيري السّابق في الأبيات السّتة الأولى ، الّتي توالت فيها أفعال الزّمن الماضي، وقد أفضى الالتفات النّحوي من قِبَل الشّاعر مُحمد العيد في بِنية الأفعال من الزّمن الماضي إلى الزمن الحاضر إلى كسر رتابة المُتوالية التّعبيرية، ويُعرَف هذا الإجراء لدى ريفاتر بـ " السّياق الأسلوبي"، وهو مبدأٌ مُهمٌّ جدّاً في التّحليل الأسلوبي البنيوي ، ألحّ عليه ميكائيل ريفاتر وأوكلَ تأتّي الواقعة الأسلوبية فيه.

جمالية السّياق الأسلوبي:

عرّف Michael riffaterre السّياق الأسلوبي "le contexte stylistique" على أنّه(نموذجٌ لساني مقطُوع بواسطة عُنصر غير مُتوقّعٍ والتّناقض النّاتج عن هذا التّداخل هو المُنبّه الأسلوبي...وتكمُنُ القيمة الأسلوبية للتّناقض في نسق العلاقات الّذي يعمل هذا التّناقض نفسه على إقامته بين عُنصُرين مُتصادمين ولن ينتُج أي أثر دُون اجتماع هذين العُنصُرين في مُتواليةٍ واحدة)[25] ، ومِن شأن السّياق الأسلوبي توليد واقعةٍ أسلوبيةٍ تصدم توقُّع القارئ وتُحدث الدّهشة والمُفاجأة في نفسه؛ من حيث نتج عن هذا التّغيير والانتقال من بنية الزّمن الماضي إلى الزّمن الحاضر كسراً في النّموذج الشّعري اللّساني للقاعدة الّتي(...تتحدّد من خلال الخروج عليها والمبدأ يشذّ عنه، والنّموذج يُدرك بفضل كسره، ويبدو التّوقُّع مُتأخّراً مِن خلال وُجود غير المُتوقّع...)[26] ، ولهذا نلفي الشّاعر مُحمد العيد في قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" يُنوّع في الأساليب قصدَ إبقاء القارئ في سياقات القصيدة ، والتّأثُّر بمضامينها الفنّية .

تأثيرية بنية التّضاد :

يُنوّع الشّاعر مُحمد العيد في هيئة الأساليب المُوظّفة في قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر " مُستخدماً أسلوب تضادٍ مُتفرّدٍ ، وذلك في أحد أبيات قصيدته، إذ يقول:

خَف الله فِيمَا نِلتَه وارجُ رَوحَه * وَمِنهُ فَلَا تَيأَس وَلَا تَامَن المَكرَا**[27]

ضمّن الشّاعر مُحمد العيد البيت الشّعري المذكور أعلاه جملةً مِن الملفُوظات المُتضادّة (خَف، ارجُ، تَيأس، تَامن، المكرا)، فكُل من هاته العناصر اللّسانية الضّدية تُدرج في حقل " العبادة " ، عبادةُ الله عزّ وجل بالخوف منه جلّ وعلا وعدم أمنِ مَكره ، مع وُجوب رجائه سُبحانه وتعالى وعدم الرُّكون إلى اليأس من مغفرته جلّ في عُلاه حالَ العصيان، وتأتي هذه العناصر الضّدية من أجل إبلاغ الشّاعر رسالةً نُصحية إلى الشّعب الجزائري، وقد أحكم صياغتها في قالبٍ شعريٍّ وفق أسلوب تضادٍ، تعارضت فيه بنيتا " الخوف والرّجاء " اللّذان هما أساسا التّوحيد وإخلاص العُبودية لله سُبحانه وتعالى، وبهذه المهارة الفنّية من الشّاعر مُحمد العيد للإجراء التّعارُضي في بنية التّضاد، تجلّت المعاني واتّضحت مُؤثّرةً بذلك في القارئ

(فالتّضاد حين ينتقل بالنّفس مِن ضِدٍ إلى ضِدٍ، ومِن النّقيض إلى النّقيض يُنتج المعاني وتتمكّن تلك المعاني مِن النّفس)[28] .

توصّلنا بعد تّحليل قصيدة " الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر" تحليلاً أسلوبياً بنيوياً إلى إبراز الأبعاد الأسلوبية الدّلالية في القصيدة الشّعرية المُتناوَلة بالتّحليل، ولنا أن نُجملها في الآتي :

*امتياز اللُّغة الشّعرية لمُحمد العيد في قصيدة الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبربالبراعة الفنّية في تصوير الحدث التّاريخي (ثورة نُوفمبر)، وفق أساليب انزياحية مُستوحاةٍ من عوالم اللُّغة المجازية وفضاءاتها الرّحبة.

*اتّسام القصيدة باللّيونة والطّواعية في صياغاتها التّركيبية، ممّا استثار فضُول القارئ لقراءتها والظّفر بتضافراتها الأسلوبية وبدلالاتها الفنّية عبر سياقاتها التّعبيرية المُختلفة بنوعٍ من الحيوية والمُتعة النّفسية .

*تُشكّل القصيدة بناءً مُتراصّاً تتضافر بُناه التّركيبية في شكلٍ مُتداخلٍ يجمع بين الشّكل والمضمون، وفق سياقاتٍ تعبيريةٍ امتزجت فيها أبعاد الثّورة التّحريرية بالقيم الجمالية .

*يُعزى التّفرُّد الأسلوبي في قصيدة الذّكرى العاشرة لفاتح نُوفمبر لمُحمد العيد آل خليفة إلى إيقاعها المُوسيقي ذُو المُدُود الطّويلة(بحر الطّويل)، وإلى أساليبها المُتباينة المُتمايزة مِن:تكرارٍ واستعاراتٍ ومُختلف صُور الانزياحات التّعبيرية المُشكّلة لشعريّة القصيدة.

مراجع البحث:

[1] بيير جيرو، الأسلوبية، ترجمة: مُنذر عيّاشي، ط:2، مركز الإنماء الحضاري،1994 ، ص:53.

(2) ميكائيل ريفاتر، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة: حميد لحمداني، منشورات دراسات سال، دار النّجاح الجديدة البيضاء، ص:40.

[3]جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة: بسّام بركة، ط:2، مجد للدّراسات والنّشر والتّوزيع، لبنان،2006 ، ص:22 .

[4]محمد العيد آل خليفة، الدّيوان، ج:2، دار الهُدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر،2010 ، ص:400.

[5]حازم القرطاجنّي، منهاج البُلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة ، ط:2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان،1981 ، ص:309.

[6]يُنظر: عبد القاهر الجُرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر،ط:1، دار المدني، جدّة،1991 ، ص:42.

[7] محمد العيد آل خليفة، المصدر السّابق ، ص:400.

[8]عبد السلام المسدّي، المقاييس الأسلوبية في النّقد الأدبي، حوليات الجامعة التّونسية، العدد:13، تونس،1976، ص:156/155.

[9]يُنظر: عدنان حسين قاسم، الاتّجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشّعر العربي، ط:1،الدّار العربية للنّشر والتّوزيع،1992، ص:218.

[10]مُحمد العيد آل خليفة، الدّيوان، ص:400.

[11]يُنظر: ميكائيل ريفاتر، معايير تحليل الأسلوب، ص:58.

[12]نازك الملائكة، قضايا الشّعر المُعاصر، ط:1، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان،1962، ص:276.

[13]محمد العيد آل خليفة، المصدر نفسه، ص:400.

[14]يُنظر: طاطة بن قرماز، التّميّز الأسلوبي في قصيدة قارئة الفنجان، مجلّة اللُّغة الوظيفية، العدد:2، جامعة الشلف ـ الجزائر،2016، ص:189.

[15]ميكائيل ريفاتر، المصدر نفسه، ص:24.

(16)الجاحظ، البيان والتّبيين، ج:1، ط:1، دار الكُتُب العلمية، بيروت ـ لبنان،1998 ، ص:55.

(17)ميكائيل ريفاتر، معايير تحليل الأسلوب، ص:59/58.

(18)ميكائيل ريفاتر، المصدر نفسه، ص:60.

(19)محمد العيد آل خليفة، الدّيوان، ص:400.

(20)محمد العيد آل خليفة، المصدر السّابق، ص:نفسها.

(21)عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:43.

(22)محمد العيد آل خليفة، الدّيوان، ص:400.

(23)محمد العيد آل خليفة، المصدر نفسه، ص:402.

(24)محمد العيد آل خليفة، المصدر السّابق، ص:400.

(25)ميكائيل ريفاتر، معايير تحليل الأسلوب، ص:56.

(26)صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط:3 ، النّادي الأدبي الثّقافي بجدّة، ص:64.

(27)محمد العيد آل خليفة، الدّيوان، ص:402.

(28)راشد بن حمد الحسيني، البُنى الأسلوبية في النّص الشّعري، ط:1، دار الحكمة، لندن،2004، ص:175.